وصفي التل مسؤولا مباشرا عن أحداث أيلول الدامية وينسبون اليه أوامر بالابـــادة الجماعية للفلسطينيين ، وليس من المستبعد كما يقول احد هؤلاء الشبان ان بعضا من أقرب اقربائه كأمه او اخته او ابيه تعرض لعملية سحق فظيعة من الدبابات امام عينيه ، فاذا أضفنا الى ذلك ان الشبان الاربعة نسبوا الى وصفي التل انه هو الذي أصدر الامر بقتل المناضل (أبو علي أياد) ، رئيس فرقتهم ، تبين لنا ان هناك من الاسباب النفسية والعاطفية ما يكفي لدفع هؤلاء الشبان ــ سواء أكان تحليلهم لدور التل صحيحا تماما أم تقريبيا ــ الى السعي وراء الثأر بأية طريقة ودون التفكـير بالعواقب السياسيـة بالنسبة للقضية التي يحاربون من أجلها أو بالعواقب الفردية بالنسبة لمصيرهم (مـا داموا مجرمين في نظر القانون) .

ولكن هل تشكل الاسباب العاطفية والسايكلوجية غطاء شرعيا كافيا لمثل هذا العمل ؟ قطعا لا . ولسبب بسيط هو أن هذه الاسباب غير خاضعة لمقاييس عامة ، وهي ذات صفة فردية انفعالية غير متبصرة وغير متوازنة . وربما غير منسجمة دائما مع الهدف المقصود منها . ولكن هذا لا ينفي أنها انسانية اي ناتجة عن **دافع انساني مفهوم تماما** ، وكذلك **متوقعة** اي ان الانسان يجب ان لا يستبعد حدوثها لان العالم ، بكل بساطة ، ليس عقلا . والمشكلة هنا تختلف تماما عن مشكلة القتل السياسي المدبر من قبـل هيئة او منظمة والذي يكون فيه الفرد مجرد منفذ لاوامر اعلى منه قد يفهمها ويقدرهـا ولكنه لا يستطيع ان يدرك بالضبط لماذا يختار هو بالذات ولماذا يطلب منه بالذات ان يكون اليد القذرة والضحية في الوقت نفسه (الايدي القذرة لسارتر) . اننا هنا ازاء وضع انساني (حار) لا (بارد) ، ازاء وضع اشبه بأوضاع الثأر المباشر عند اجدادنا العرب ، وضع نابع من الداخل لا مفروض من الخارج (التنظيم) ، وضع ينتظر ان تكون له ذيول وامتدادات لان الظروف والملابسات الحادة التي أوجدته قائمة ومستمرة الى حـين .

هنا بالضبط تكمن الخطورة وهنا بالضبط نصل الى بيت القصيد : امتدادات العنـف الفلسطيني .

ان التسلسل المنطقي للكلام يقتضي البدء بشرح المقصود من التركيز على هذه النقطـة ولكن هناك خواطر تستبق هذا الشرح وتضطر المرء الى اعطائها الاولوية . قبـل الانطلاقة الاولى (١٩٦٥) للثورة الفلسطينية بأمد قصير قابل مندوب مجلة «فلسطيننا» احد زعماء الثورة الجزائرية وتحدث معه حول التحسبات التي تدور في أذهان القـادة الفلسطينيين بالنسبة للانطلاقة ولا سيما خوفهم من عواقب تحرك اسرائيلي استعماري انتقامي ضد الدول العربية للرد على التحرك الفلسطيني ، قال الزعيم الراحل : « والله لو كان العالم برميلا من البارود لحق لكم ان تفجروه » .

وفي جلسات شخصية لكاتب هذه السطور مع كثير مـن الاوروبيين المهتمين بالقضية الفلسطينية او ــ على الاصح ــ بما يجري في الشرق الاوسط أبدى معظمهم استغرابه (بعضهم باعجاب وبعضهم باستنكار) لغياب العنف الفلسطيني التلقائي مع وجـود الاسباب النفسية والعاطفية الكافية لتوقع مثل هذا العنف .

لنعترف اولا بصحة هذه الملاحظة ان ما ظهر من العنف غير المنظم عند الفلسطينيين اقل بكثير مما يتوقع من شعب نام مر بظروف قاسيـة جدا وتجددت نكبتـه باستمـرار خلال ربع قرن وتعرض لالوان شتى من الاهانة والذل على يد الاعداء وكذلك على يد الاهل وذوي القربى في حالات كثيرة . وبالنسبة لموضوع الاغتيال بالـذات انحصرت الحالات ذات الطابع الوطني بحوادث معدودة جدا بعد سنة ١٩٤٨ : اغتيال الملـك